

1030-الاستهبال على وعي كسول

تعتة الدستور

يبدو أن الجارى حولنا الآن له مستويات فوق مستويات، يخفى بعضها بعضا بطرق من أبحث ما عرف في التاريخ، بما في ذلك تاريخ التحايل بين الفريسة والمفترس في مملكة الحيوانات عبر التاريخ الحيوى، وقد أصبحت المستويات التي تخفى تحتها ما هو أخطر وأخطر، أكثر نعومة وتدلّيسا من أن يكشفها أى فكر مستعجل، أو وعى كسول، أو وجود تابع، وكلما حاول فكر أو قلم، أو ناقد، كشف بعض تلك الطبقات الأسفل فالأسفل (من السفالة والسفلى معاً)، اهتم بالتفكير التأمري... الخ.

مثلا: هذا الجارى ما هي حقيقته في ملعب القضية الفلسطينية، التي هي نموذج مصغر للقضية العربية، وهي هي نفس التحدى الذى يهدد العالم أجمع كقضية إنسانية شاملة؟

منذ عشر سنوات كتبت في صحيفة عربية (الوطن / السعودية) بتاريخ: 2000/10/9 ".... ما حدث ويحدث في القدس مؤخرا، هو تنبيه لمعنى ومدى ونتيجة الإغراق بمعلومات لم يطلبها أحد، إنه تحذير من الاستسلام لوعود برفاهية لم نُخطر بكم المخدرات التي تحتويها. "ثم" هذه الدماء التي تسيل، والبيوت التي تهدم، والأبرياء الذين يقتلون، هي فرصة صارخة تدعونا للمراجعة. "ثم".... "هؤلاء الشبان الذين ولدوا بلا وطن، ونشأوا بلا هوية، هم الذين يطالبون بالاستمرار فيما يفعلون، إذ ليس عندهم ما يكون على فقده، أو ما يخافون عليه. هم الذين يستشهدون، هم الذين ينزفون، وهم هم الذين يطالبون باستمرار ما يجرى من مواجهة".... "فكيف لا نحترم ما يفعلون بأن نستيقظ من غفلتنا على الأقل". إلى أن قلت: "إن ديمقراطية إسرائيل، مثل ديمقراطية أمريكا، إنما تنكشف أمام أى اختبار حقيقى في التعامل مع الأقليات، ومع الخصم، ومع العدل، إننا لا بد أن نبحث لها عن اسم آخر، أو أن نبحث لنا نحن عن قيمة أخرى".

ثم كتبت بعد أسبوعين في نفس الصحيفة:

"لا مفر من إعادة النظر في ألعاب اللغة وخبث الخطاب"،

ما لا بد أن يجرنا إلى إعادة تعريف كثير مما نعرف،
مثل: معنى الحرب، ومعنى العدو، ومعنى النصر، بل ومعنى
الإنسان.

في المقاتلين رحمت أعدد بعض الأوهام التي لعبوا في عقولنا
لإقناعنا بها.

وتمضى عشر سنوات، وأجدني أمام أوهام أكثر وحقائق كاشفة
أكثر صراحة ومرارة، أقدم بعضها في هذه التعتة الآن، مجرد
عناوين، قد أعود إليها.

تحديث أوهام وحقائق (عناوين):

الوهم الأول: إنها قضية الشرق الأوسط.

الحقيقة: إنها احتلال استيطاني إذلال استغلالي لأرض فلسطين،
وناس العرب جميعا، ومواردهم، وهو يتمادى كل يوم، ليسحق
الجميع، ويستعمل من تبقى منهم.

الوهم الثاني: إنها إسرائيل.

الحقيقة: إسرائيل ليست فحسب هذه الإغارة المنظمة لسحقنا
من الخارج ومن الداخل، إسرائيل ليست هذا التجمع العنصري
المختلط المستغل الغير القاتل المستعمر لقطعة أرض لم تكن
أبدا لها. إسرائيل هي النموذج الواضح والصارخ - لكل
سلبيات واغتراب وجشع الإنسان المعاصر الأكثر مالا وطمعانا
وقسوة، في مرحلة من أصعب وأخطر ما تمر به الإنسانية.

الوهم الثالث: إنها أمريكا

الحقيقة: إنها القوى المالية المافياوية المعولمة التي تحكم
العالم بالمال للمال، لصالح من نعلم ومن لا نعلم، ممثلة في
إسرائيل كرمز كاشف، لمن يريد أن يرى.

الوهم الرابع: إنها الديمقراطية

الحقيقة: إنها الوسيلة الأسهل لخصام الناتج الفكري
الظاهر على سطح الوعي المغيب لمجاميع الناس، فلا توجد
ديمقراطية تقول: إما أن تنتخب رجلى أو أقتلك، أو تحديداً:
إما أن تنتخب محمود عباس أو تموت جوعاً!.

الوهم الخامس: إنها إشكالة توسيع المستوطنات (في القدس
وغير القدس)

الحقيقة: إن القضية هي وجود المستوطنات أصلاً على أرض
وطن ليس هو وطن ساكيناها.

الوهم السادس: إنها قضية العودة للمفاوضات .

الحقيقة: إنها لعبة استعمال المفاوضات مباشرة أو غير
مباشرة لإقرار الوضع الراهن أو التأجيل الأبدى.

الوهم السابع: إنه حصار غزة وحرمان أهلها من الحاجات الانسانية من غذاء ودواء.. الخ.

الحقيقة: إنه احتلال غزة، وإذلال ناسها حتى يلقوا سلاحهم إذ ينتخبون العميل المطيع.

الوهم الثامن: إن نموذج "تركيا" هو الحل

الحقيقة: أن تركيا قد يثبت أنها عميل مزدوج، وإلا فما حكاية شراء الأسلحة من إسرائيل بل والمناورات العسكرية المشتركة، حتى بعد أسطول الحرية؟.

الوهم التاسع: إنها قافلة شريان الحياة

الحقيقة: إنها مسكنات طيبة، من ناس طيبين، إندس بينهم عملاء لأغراض ظاهرها الرحمة، "شريان الحياة" الحقيقي هو الشريان الذى يسرى فيه العدل الفاعل وليس فقط المعونات العاجلة (مع الشكر).

الوهم العاشر: إنه أسطول الحرية

الحقيقة: إنه تسكين آخر نشكر النوايا الطيبة وراءه، ومنتظر قبله وبعده حرية حقيقية على الأرض ليست في حاجة إلى أسطول.

وللحديث بقية.